من الأدب الفرنسى

قصـــائد وأقاصيص

لصاحب الرســالة

بقلم الأستاذ « عابر سبيل »

تفضل المحرر الأدبى بجريدة الدستور فكتب هذه الكلمة الكريمة :

لم يكد ينقطع الحديث بعد عن كتاب « وحى الرسالة » الذى قدمه لقراء العربية الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات ، حتى طلع علينا قلمه الزاخر بفيض جديد من أدبه الرفيع فى كتابه الجديد « من الأدب الفرنسى » ، وهو مجموعة من فرائد الأدب الفرنسى لأمراء الشعر والنثر فى فرنسا الخالدة : « لامرتين ، وهوجو ، وشاتوبريان ، وجى دى موباسان » . نقلها الأستاذ من مكانها فى قمة الأدب الفرنسى إلى نظيره فى قمة الأدب العربى ، بأسلوب عربى لا حاجة به إلى التقريظ والإشادة ، ولا حاجة لصاحبه إلى كلمة ثناء بعد إذ شهدت كل آثاره الأدبية موضوعة ومعربة ، منذ أن عرب « آلام فرتر » إلى اليوم ، بأنه يختص فى عالم البيان بطريقة لا يشركه فيها كاتب ، وطابع لا أثر فيه للتكلف والاجتهاد ، وإنما هو طبع أدبى مستوعب لأسرار البلاغة العربية ، وذوق موهوب فى صياغة الجملة العربية من مثار لفظى متخير بحيث لا تند كلمة فى المعنى عن أختها ، ولا ينحرف جرسها عن الموسيقى المناسبة فى سائر الجمل والتراكيب ، وبحيث لا يصدم سمعك نبو فى الجرس ، ولا يرهق لسانك جفوة فى المخرج ، ولا يتعب يدك بحث فى القاموس عن معنى نافر غريب لكلمة وحشية جافية . وتتضافر كل هذه القوى البيانية لإبراز معنى من المعانى يتلبس بها جميلاً تلبس العطر النافح لأكمام الزهرة الندية ، من أية ناحية تلمسها بدهك منها البير المشبوب . ومعانى « الزيات » فى أغلب موضوعاته ومترجماته تهدف داعماً إلى نور الحق والخير ، وجمال الحب والرحمة ، وسحر الآلام الإنسانية الرفيعة التى تتموج بها قلوب الشعراء والعشاق والبائسين من بنى الأرض . ومن يقرأ طرفاً من شجن « رفائيل » وحيرة « فرتر » فى ممرباته لمأتين القصتين الماليتين ، ويجرى وراء قلم الزيات فى فصوله المتعاقبة منذ أنشأ « الرسالة » وأشرف على تحريرها إلى اليوم يدرك مدى هذه الحقيقة فى أدبه سواء فى ذلك الموضوع والمعرب . ويكفى أيضاً لإدراكها أن تطالع فصول الكتاب الجديد وتقف على عظمة اتجاه المعرب فى اختيار الموضوعات الإنسانية الرائعة التى عالجها الشعراء والكتاب الفرنسيون الذين عرب لهم ؛ فالذى يطالع منها قصيدة « الشاعر المحتضر » للامرتين يتمنى من أعماق روحه أن لو كان هو ذلك الشاعر الفانى الذى يودع الدنيا وعلى قيثاره آخر نغم من أنغام الحب والجمال ، وعلى فمه عظة السخرية الهائلة بالمجد الذى يفنى العالم جيلاً بعد جيل فى سبيله ، وما هو إلا لفظة جوفاء مجرودة من كل هذه المعانى الزائفة التى خلعها عليه الإنسان . وقصيدة « المستقبل » التى وجهها فيكتور هوجو إلى نابليون عقيب اندحاره فى (واترلو) حافلة بأخلد المعانى الإنسانية التى تتفجر بها قلوب الأحرار من الشعراء حيال الطغيان البشرى الذى يجره المغترون بالبطولة والعنفوان ، المتحكمون فى رقاب العالم إشباعاً لشهواتهم وأنانيتهم ... إلى آخر ما فى هذه النفحة الجديدة التى يشاء القدر أن تطلع على الناس فى وقت نرى فيه فرنسا مهد الشعر والفن والجمال والحرية أصبحت ميداناً لأكبر صراع فى تاريخ البشرية بين الحرية والاستعباد ، وفى لحظة يعتكر فيها ضباب الطغيان على أعظم منار فى العصر الحديث للفنون والحضارة

فلا أقل من أن نؤول ظهور هذا القبس الأدبى فى ظلام المحن تحية سامقة لفرنسا وصوتاً جديداً يذكر الشرق بفضلها على الأدب الإنسانى كله وعلى الأدب العربى بوجه خاص ... نسأل الله هداية كتابنا إلى مثل هذا المجهود الأدبى العظيم الذى يضم به الزيات يداً جديدة من أياديه الخالدة على الثقافة المصرية والأدب العربى الحديث

« عابر سبيل »